الفلسطينيين خارج الأرض المحتلة، بالابتعاد عن النمطية في تصوير السجان أو الجندي الاسرائيلي ويقدمان أناساً أحياء وليس نماذج جاهزة.

إلى جانب تلك الظاهرة، يشير المؤلف إلى بروز ظاهرة أخرى، من خلال أعمال الكاتبين المذكورين، وتتمثل في تصدع سلطة الجيل القديم وسلطة الأب القادر على كل شيء.

أما بالنسبة إلى رواية أميل حبيبي، فان شمعون بلاص يعتبرها «ذات مميزات كثيرة، اهمها المبنى والمعنى، تضعها في مقدمة الأدب الفلسطيني، وأدب النزاع الاسرائيلي عامة» الاّ انه يأخذ عليها تصويرها المجتمع الاسرائيلي كمجتمع يكاد يخلو من انسان شريف لا يعادي العرب أو يحتقرهم. ولعل هذا يعود إلى تركيز المؤلف على **مضامين** الاعمال الأدبية التي يدرسها، ناسياً، هنا بالذات، أي بالنسبة الى رواية «الوقائع الغريبة...»، أسلوبها الساخر أساساً. وهذه المعالجة المضمونية نفسها، تجعله يحكم على رواية سميح القاسم «إلى الجحيم ايها الليلك»، بكونها توصل البطل المنفصم الشخصية إلى أزمة. وذلك بسبب علاقته بالمجتمع الاسرائيلي وبأبناء شعبه «الذين يحاربونه»، انطلاقاً من العمليات الفدائية داخل الأرض المحتلة.

أخيراً، يمكن القول ان دراسة شمعون بلاص للأدب العربي في ظل الحرب لم تكن دراسة أدبية بقدر اقترابها من البحث السوسيولوجي عبر مضامين مؤلفات أدبية. واذا كان هذا البحث يبرهن على فهم للأوضاع العربية وبهموم الكتّاب، فانه لم يخلُ، في المقابل، وبسبب المنهج المتوخى، من الوقوع في عدة مزالق اتسمت بها هذه الدراسة. ومن ذلك، اهمال الاشكال الادبية المحدثة والتركيز على المضامين الأدبية التي كثيراً ما دفعت الكاتب إلى دراسة أعمال جدّ هامشية وتافهة، فضلاً عن اضطراره إلى التركيز على الاعمال النثرية، وبالتالي الاطناب في تلخيص كل عمل على حدة. وقد اقتصر في دراسته على أدب المشرق العربي وحده.

وإذا كانت التقاريظ المثبتة على الغلاف الأخير (لنجيب محفوظ ومكسيم رودنسون وساسون سوميخ واندريه ميكيل ونعيم قطان) أجمعت على تحلّي هذه الدراسة بالروح الموضوعية وعدم اقحام العواطف، فانها لم تخلُ، في الواقع، من الانحياز الضمني الباحث عن مصلحة المجتمع الاسرائيلي (يكون الحكم أفضل كلما ازداد ارتباط العرب بالاسرائيليين وتحسنت صورة الاسرائيلي). ولعّل في لغة الكاتب ذاتها، بعد الترجمة، ما يشي بمواقفه ازاء «ارهاب» الفدائيين و«الأقلية القومية» و«الهروب»؛ والمسافة لا تلوح طويلة جداً اذا توقف الحّل على الأدب.

ان كتابة شمعون بلاص، في بحثها الضمني عما يحدد شخصية الآخر وانسانيته (حبه للسلام)، تسلبه حقه ـ اذ تنتفي من طروحاته ما يلائم مفهومها للسلام (ويعني أحياناً، صراحة أو ضمنياً، الارتباط، تقبل الآخر وعدم السخرية منه والحال انه معتدٍ، يرفض وجود شعب كامل) ـ في استخدام وسائل لتحقيق وجوده وهويته، وليس أقلها حقه في الممارسة كـ ... فدائي! ويعود سبب ذلك إلى كون بلاص **يصف** غربة الفلسطيني، في الداخل وفي الخارج، على سبيل المثال، لكنه يرفض وسائل انهاء تلك الغربة، اذا لم تتوافق ومفهومه.

وهنا ينبغي القول ان الموضوعية «لا يمكن ان تكون موضوعية»، ما دامت تتعلق بـ «ذات» تحاكم الآخر كـ «موضوع».

محمد علي اليوسفي